الدلالات العمرانية للنقوش الاثرية في قلعة عجلون من عهد الملك الايوبي المعظم عيسى

د. إسماعيل احمد ذيب ملحم[1]

ملخص الدراسة باللغة العربية

يتعمق البحث العلمي حول المآثر التاريخية التي تبنيها الدول لإبراز معالمها الحضارية ورقيها العمراني، وجاءت هذه المحاولة لمقاربة واحدة من أهم الآثار بالمملكة الأردنية، ألا وهي قلعة عجلون التاريخية التي تقع في شمال غرب المملكة الأردنية الهاشمية في مدينة عجلون على قمة جبل عوف، بحيث يعتبر أحد أهم جبال عجلون، ويقع على ارتفاع 1023 متراً عن سطح البحر.

وقد ركزت موضوع الدراسة على الدلالات العمرانية للنقوش الأثرية في قلعة عجلون من عهد الملك المعظم عيسى بن سيف الدين أحمد الأيوبي (576 624 هـ/ 1180 . 1227م)، وكان سلطان على دمشق من سلاطين الايوبيين (624.615 هـ / 1218 .1227 م)، وقد ترك آثارا كثيرة بدمشق منها المدرسة المعظمية.

Abstract

Scientific research delves into the historical monuments built by countries to highlight their cultural features and urban sophistication. This attempt came to approach one of the most important monuments in the Hashemite Kingdom of Jordan, namely the historic Ajloun Castle, which is located in the northwest of the Hashemite Kingdom of Jordan in the city of Ajloun on the summit of Mount Auf, which is considered one of the most important mountains of Ajloun, and is located at an altitude of 1023 meters above sea level.

The study focused on the urban implications of the archaeological inscriptions in Ajloun Castle from the reign of King Al-Muazzam Issa bin Saif al-Din Ahmad al-Ayyubi (576-624 AH / 1180-1227 AD), who was a sultan of Damascus from the Ayyubid sultans (615-624 AH /

[1] الباحث د. إسماعيل ملحم عمل مديراً سابقاً لآثار محافظة عجلون/ دائرة الاثار العامة/الأردن، في الفترة 2016م والفترة 2020-2023م، وأشرف على أعمال التنقيب والترميم التي جرت في قلعة عجلون خلال هذه الفترات.

1218-1227 AD), and left many monuments in Damascus, including the Al-Muazzamiya School.

Keywords: Ajloun, urbanism, civilization, implications, King Isa al-Ayyubi.

مقدمة:

تقع قلعة عجلون في شمال غرب المملكة الأردنية الهاشمية في مدينة عجلون على قمة أحد جبال عجلون، ويُدعى جبل عوف، وعلى ارتفاع 1023 متراً عن سطح البحر. وقد بنيت كقلعة عسكرية حصينة على مرحلتين في أوج الحروب الصليبية[1]، وكانت المرحلة الأولى في عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي[2] سنة 1184م، بإشراف أحد قادة جنده، وهو الأمير عز الدين أسامة بمساعدة قبيلة بني عوف العربية التي كانت تقطن هذا الجبل ومحيطه (شداد، 1962)[3]. وذلك بهدف حماية الجناح الجنوبي الغربي لمنطقة دمشق، وطريق المواصلات الحيوي بين دمشق والقاهرة (ويسمى درب الحج) الذي كان ضعيف الحماية حتى ذلك الحين، كذلك اعتبرت القلعة كثقل موازن لقلعة كوكب (بلفوار) الفرنجية (مولر-فيز، 1984)[4].

وقد ذكرت القلعة ومدينتها عجلون في عدد من المصادر التاريخية العربية، واستخدمت بعض المصادر لفظ (حِصن) للدلالة على (القلعة)، وكلاهما يعني (الموضع المنيع)[5] (ابن منظور، 1414هـ). وأشار أبو الفداء (ت 732هـ/1331م) إلى القلعة بقوله: "عجلون حصن، وربضه الباعوثة، والحصن عن البلد شوط فرس، وهما في جبل الغور الشرقي قبالة بيسان" (أبو الفداء، 1850هـ)[6] . وزارها الرحالة ابن بطوطة (ت779هـ/1377م)،

---

[1] الحروب الصليبية او الحملات الصليبية مصطلح يطلق على مجموعة من الحملات والحروب التي قام بها الأوروبيون من أواخر القرن الحادي عشر حتى الثلث الأخير من القرن الثالث عشر (1096. 1291 م) و اتخذت طابعا دينيا ، و كان هدفها السيطرة على الأراضي المقدسة و خاصة بيت المقدس ، و محاربة الأعداء السياسيين للباباوات .

[2] الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب (52 .589 هـ/ 1138 . 1193 م) أسس الدولة الايوبية التي وحدت مصر و الشام و الحجاز و تهامة و اليمن تحت الراية العباسية بعد ان قضى على الدولة الفاطمية ، و قاد حملات و معارك ضد الفرنجة و غيرهم من الأوروبيين في سبيل استعادة أراضي فلسطين و ساحل البحر الأبيض المتوسط قبالة بلاد الشام ، و التي كان من ابرزها معركة حطين 583 هـ /1187 م و تحررت على اثرها القدس و معظم الأراضي التي كان يسيطر عليها الصليبيون .

[3] ابن شداد ، عز الدين ، **الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام و الجزيرة** ، تحقيق : سامي الدهان ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، دمشق ، 1962 م ، ص 86.

[4] مولر . فيز، فولفغانغ ، **القلاع أيام الحروب الصليبية** ، ترجمة محمد الجلاد ،دار الفكر ، ط2، 1984 م ، ص 75.

[5] ابن منظور ، جمال الدين ، لسان العرب ، المجلد 8 (ع . غ) ، دار صادر ، بيروت ، 1414 هـ ، ص 29

[6] ابو الفداء ، عماد الدين إسماعيل بن نور الدين علي ، **تقويم البلدان** ، صححه رينود و ماك كوكين ديسلان ، دار الطباعة السلطانية ، باريس ، 1850 م ، ص 245.

ووصفها بقوله: "عجلون مدينة حسنة، لها أسواق كثيرة، وقلعة خطيرة يشقها نهر ماؤه عذب" (ابن بطوطة،1407هـ)[1].

وقد كانت قلعة عجلون إقطاعاً للأمير عز الدين أسامة الذي اشتهر بالجبلي، وبقيت بحوزته حتى سنة 609هـ/1211م إلى أن انتزعت منه على يد الملك المعظم عيسى ابن السلطان الملك العادل[2] الذي استولى عليها وعلى قلعة كوكب الهوى[3] التي كانت تابعة أيضاً لعز الدين أسامة، بعد اتهامه بمكاتبة الملك الظاهر صاحب حلب المناوئ للسلطان، فأبقى الملك المعظم عيسى على قلعة عجلون وهدم قلعة كوكب الهوى (ابن الجوزي، 1907)[4]. وفي سنة 611هـ /1214م عين الملك المعظم عيسى مملوكه الأمير عز الدين ايبك المعظمي (ت 645هـ) حاكماً (استادارة) على صرخد (أبو شامة، 1949)[5]. وكانت تتبع له قلعة عجلون حيث زاد في بنائها مدشناً مرحلة الإعمار الثانية في القلعة. (انظر شكل:1).

مرحلة الإعمار الأولى (580ـ 609 هـ) (1184ـ 1211م):

وفقاً للتصميم المعماري للقلعة، فإن الجزء الذي بُني في عهد الأمير عز الدين أسامة شكل نواة القلعة التي توسعت لاحقاً، وكان يتكون بدايةً من بناء مربع الشكل له أربعة أبراج قائمة في أركانه، ويقع مدخله الرئيسي في الجهة الشرقية، كما زودت هذه القلعة الصغيرة في داخلها بعدد من آبار المياه، لتتمكن من الصمود أمام أي حصار قد تتعرض له. وأحيط بالبناء خندق محفور بالصخر الطبيعي، ليُعيق أي تقدم معادي، ويبلغ طول هذا النفق حوالي 440 متراً، وعرضه 15ـ 20 متراً، بعمق حوالي 10ـ5متر. ويتضح على أبراج عز الدين استخدامها الطراز المعماري الإسلامي المتمثل بالأقواس أو الأقواس المتناظرة في أنظمة التسقيف، وعمل المزاغل (طلاقات السهام) في الجدران.

وعلى الرغم من أن عددا من المصادر العربية قد ذكرت القلعة، فإن أعمال التنقيب والتنظيف الأثري التي جرت فيها لم تعثر لحد الآن على أي نقش كتابي يوثق هذا الحدث المهم. (انظر شكل: 5) حيث تلاحظ الأبراج الأربعة من المرحلة الأولى.

---

[1] ابن بطوطة ، شمس الدين محمد بن عبد الله ، **رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الامصار و عجائب** الاسفار ، تحقيق : عبد الهادي التازي ، اكاديمية المملكة المغربية ، مجلد 1 ، 1417 هـ ، ص 256 .

[2] الملك المعظم هو شرف الدين عيسى بن سيف الدين احمد الايوبي (576ـ 624 هـ / 1180 ـ 1227 م) ، و كان سلطان على دمشق من سلاطين الايوبيين (624ـ615 هـ / 1218 ـ1227 م)، ترك آثاراكثيرة بدمشق منها المدرسة المعظمية و له كتاب في العروض و ديوان شعر .

[3] قلعة كوكب الهوى تقع شمال مدينة بيسان في فلسطين ، و هي احدى القلاع الصليبية التي سقطت على يد صلاح الدين الايوبي سنة 1189 م .

[4] سبط ابن الجوزي (يوسف بن قزغلي) ، **مرآة الزمان (السنوات 495 هـ . 654 هـ)** ، تقديم جيمس ريتشارد جيويت ، الجزء 8 ، نسخة مصورة بشيكاغو / أمريكيا ، مطبعة جامعة شيكاغو ، 1907 م ، ص 366ـ 367 .

[5] أبو شامة ، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل ، **تراجم رجال القرنين السادس والسابع**، دار الكتب الملكية، القاهرة، 1949م، ص 87.

مرحلة الإعمار الثانية (611 . 624 هـ/ 1214 م . 1227م):

قام الأمير عز الدين أيبك المعظمي حاكم صرخد وبتوجيه من الملك المعظم عيسى، بتوسعة كبيرة في بناء قلعة عجلون في هذه الفترة شملت إضافة قاعتين كبيرتين في الجهة الجنوبية، وعادة ما يُطلق عليهما (قاعات السجن أو سوق العبيد)، وهما قاعاتان متجاورتان مستطيلتا الشكل يربط بينهما مدخلان، وعُمل في جدرانهما المطلة على الخارج فتحات لطلاقات السهام انسجاماً مع طلاقات الأبراج و زيادة في التحصين.

كما أضاف بناء ثلاثة أبراج جديدة وهي: البرج الشمالي الشرقي ويعرف باسم (برج الحمام الزاجل)، والبرج الشرقي ويعرف باسم (برج الحصن الحصين) والبرج الجنوبي المعروف باسم (برج ايبك بن عبد الله)، وكذلك البوابة الرئيسية للقلعة والمدخل المتصل بها. (غوانمة، 1982)[1] ويتكون كل برج من عدة مستويات (طوابق)، وفي كل مستوى قاعات كانت تستخدم إما لإقامة الجند ونشاطاتهم أو لتخزين التموين والسلاح، ويعتبر البرج الجنوبي أفضل هذه الأبراج تماسكا وعمارة، كما خُصصت إحدى القاعات فيه في المستوى الثاني للمصلى، ومرفق به حجرة صغيرة للوضوء.

أولا: دلالات النقش التأسيسي في البرج الجنوبي:

نستدل على تاريخ البرج الجنوبي وبانيه من خلال النقش الحجري التأسيسي الذي يعلو النافذة الشرقية للمستوى الأول منه، والذي استخدم كعتب لهذه النافذة، وهذا نصه بعد المعاينة الميدانية للباحث، ومقارنة الدراسات السابقة التي سنستعرضها فيما يلي: "بسم الله الرحمن الرحيم أنشأ هذا البرج المبارك أيبك بن عبد الله أستاذ الدار المعظمي في شهور سنة أحد عشر وستمائة".

وكتب هذا النقش على ثلاثة أسطر بالخط النسخي النافر على حجر جيري أطواله (189سم ×68سم)، وهو بحالة جيدة بشكل عام، باستثناء وجود تصدع صغير، ويمكن قراءة النقش كالتالي:

1. بسم الله الرحمن الرحيم انشأ هذا البرج

2. المبارك أيبك بن عبد الله إستاذ الدار المعظمي

3. في شهور سنة احد عشر و ستماية

(انظر الأشكال : 2،3،4).

ويمكن لنا أن نستنتج من خلال هذا النقش التأسيسي ثبوت صحة الروايات التاريخية التي تحدثت عن تدشين الأمير عز الدين ايبك المعظمي للبرج الجنوبي في القلعة، وأن ذلك تم فعلا في سنة 611هـ/1214م في عهد حاكم دمشق الملك المعظم عيسى، وأنه كان يشغل وظيفة إدارية مهمة هي (إستاذ الدار) أو (إستدار)،

[1] غوانمة ، يوسف، **التاريخ الحضاري لشرقي الأردن في العصر المملوكي** ، دار الفكر للنشر، عمان ، ط2، 1982 م ، ص 279 .

وهي وفقاً للقلقشندي صاحب كتاب (صبح الأعشى) كلمة فارسية الأصل مركبة من لفظتين الأولى (إستذ) ومعناها (الأخذ)، والثانية: (دار) ومعناها (الممسك)، فأدغمت (الذال) في الكلمة الأولى ب (الدال) في الكلمة الثانية فصارت (إستدار) ومعناها (المتولي الأخذ)، كقبض المال وصرفه وفق أوامر السلطان أو الأمير، وغيرها من المهام المناطة به، وهنالك وظائف عديدة مرتبطة بالسلطان عرفت في العهد المملوكي، وسُمي أربابها بألقاب مشابهة مثل: (جوكندار) وهو حامل الصولجان، و(الطبردار) وهو ممسك الطبر في موكب السلطان، و(السنجقدار) وهو حامل الراية، و(البندقدار) وهو ممسك البندق وغيرها من الألقاب. (القلقشندي، 1919)[1]، وتعرف دائرة المعارف الإسلامية الكبرى مصطلح "أستاذ دار" بأنه: "يطلق على بعض أصحاب المناصب الكبيرة في بلاط الخلفاء والأمراء والسلاطين المسلمين والذين كانت مسؤولياتهم ونطاق سلطتهم متغيرا، وكانوا يبلغون أحياناً في ذروة قوتهم الوزارة، أو الإمارة أو السلطة" (صادق، 2021)[2].

وقد اختلفت طريقة قراءة النقش في الدراسات السابقة عن بعضها البعض، نظراً لوجود حجر النقش في مكان مرتفع في واجهة البرج الجنوبي في القلعة، مما صعب من تمحيصه بدقة. كان أول من أشار إليه المستشرق الألماني جوتليب شوماخر(ت1925م) في مسحه الأثري لمنطقة عجلون سنة 1896م.(Schumacher, 1890[3])، وقامت السويسرية مارجريت فان بيرشم (ت1984م) بقراءة النقش كالتالي: (بسم الله الرحمن الرحيم، أنشأ هذا البرج المبارك ايبك بن عبد الله أستاذ الدار المعظمي في شهور سنة أحد عشر وستمائة) (أبو عبيلة، 2007)[4].

أما المؤرخ يوسف غوانمة فقد أورد قراءة أخرى للنقش كالتالي: (بسم الله الرحمن الرحيم أنشأ هذا البرج المبارك عبد الله أستاذ الدار العامرة في شهور سنة إحدى عشرة وستمائة"[5].

كما قدم الباحث محمد أبو عبيلة قراءة أخرى و كالتالي: (بسم الله الرحمن الرحيم أنشأ هذا البرج المبارك ايبك بن عبد الله أستاذ الدار المعظمة في شهور سنة أحد عشر وستمائة) وقرأ على الجانب الأيسر للحجر: (في ولاية قيصر العربي)[6].

ويبدو من خلال هذه القراءات أن هنالك ثلاثة طروحات لقراءة السطر الثاني من النقش وهي:

---

[1] القلقشندي ، احمد بن علي ، **صبح الأعشى** ، الجزء الخامس ، المطبعة الاميرية ، القاهرة ، 1919 م ، ص ص 457. 459 .

[2] سجادى ، صادق ، " أستاذ دار " ، **مركز دائرة المعارف الإسلامية الكبرى** ، 2021 م ، موقع : cgie.org.ir

[3] Schumacher ,G.,**Northern Ajlun within the Decapolis** .London,Alexander P.Watt ,1890.

[4] أبو عبيلة ، محمد ، " نقش تأسيسي ايوبي من قلعة عجلون " ، **مجلة النقوش و الرسوم الصخرية** ، العدد : 1، 2007 م ، ص ص 53. 54. و Berchem,V.M.,**Opera Minora**.Geneva,Editional Slatkine,1978.

[5] غوانمة ، مرجع سابق ، 1982 م ، ص 276.

[6] أبو عبيلة ، محمد ، مرجع سابق ، ص53

. المبارك ايبك بن عبد الله أستاذ الدار المعظمي/ لمارجريت فان بيرشم

. المبارك عبد الله أستاذ الدار العامرة / ليوسف غوانمة

. المبارك ايبك بن عبد الله أستاذ الدار المعظمة / لمحمد أبو عبيلة

ومن خلال تمحيص هذا النقش ومعاينته في موقع القلعة، والتدقيق بالرسم التوثيقي له، فإن قراءة السويسرية فان بيرشم هو الأقرب للصواب، وأن كلمة (استدارة) أو (أستاذ دار) هي لفظة فارسية غير عربية، ولا علاقة لها بكلمة (دار) العربية كما سبق، وأشار المقريزي إلى أن الكلمة التي تلي كلمة الدار ليست كلمة (عامرة) أو (معظمة)، كما ذكرتها الدراسات السابقة الأخرى، بل هي كلمة (المعظمي) وهو اللقب الذي كان يحمله أتباع ومماليك الملك المعظم شرف الدين عيسى، وظهر بشكل جلي في النقش الثاني موضوع البحث الذي كشف عنه في بركة قلعة عجلون، وهذا ما سيتم تناوله لاحقاً.

أما ما أورده أبو عبيلة بشان وجود كتابة على الجانب الأيسر من الحجر وهي عبارة: (في ولاية قيصر العربي) فهي إضافة تستحق الاهتمام لم تشر لها الدراسات السابقة الأخرى، وتشير إلى وظيفة كانت فيما يبدو تطلق على مسؤول أو متولي العمائر، وهو قيصر العربي الذي تولى الإشراف على عمارة البرج الجنوبي في قلعة عجلون بأمر الأمير عز الدين ايبك، كما ورد هذا الاسم في عدد من النقوش التأسيسية في عمائر أخرى أنشئت بأمر من عز الدين أيبك مثل قلعة صلخد مؤرخة إلى سنة 617هـ/ 1220م، ومئذنة مسجد صلخد مؤرخة لسنة 630هـ / 1232 م و غيرها.[1]

ثانياً : دلالات النقش التأسيسي في بركة القلعة (خزان الماء الرئيسي):

تبلغ أبعاد خزان المياه الرئيسي في قلعة عجلون حوالي (22م ×22م×22م × ارتفاع 9م تقريباً)، وهو مسقوف بالكامل بواسطة عقود حجرية، وله فوهتان إحداهما لاستقبال مياه الأمطار الهاطلة على القلعة والزائدة عن سعة آبار المياه الداخلية في القلعة، والأخرى لرفع المياه من داخله. (ملحم، 2024)[2]. (انظر شكل: 6).

ولغاية نهاية العام 2022م لم يكن معروفاً لدى الآثاريين أو المؤرخين التاريخ الحقيقي لبناء خزان المياه الرئيسي لقلعة عجلون، لا سيما وأنه يقع خارج مبنى القلعة في الجهة الجنوبية الشرقية، وأن القلعة تم فيها عدة اعمال توسع وإضافات وإصلاح معماري عبر العصرين الأيوبي والمملوكي، إلى أن كشفت أعمال التنقيب الأثري التي تمت في القلعة من قبل دائرة الآثار العامة الأردنية بإشراف كاتب البحث في أواخر العام 2022م، وأثناء التنظيف المنهجي للأنقاض عن نقش حجري يؤرخ للعصر الأيوبي في المستوى الخامس من القلعة، وتحديداً في قاعة مجاورة للبرج الأوسط في القلعة، بقياس (105سم ×70سم ×سمك 25سم) وعليه كتابة باللغة العربية

[1] أبو عبيلة ، محمد ، مرجع سابق ، ص 55 .

[2] ملحم ، إسماعيل ، **اكتشافات اثرية حديثة في شمال الأردن** ، دار الكتاب الثقافي ، 2024 م ، ص 66

بطريقة الحفر النافر مكونة من أربعة أسطر، تشير صراحة إلى بناء بركة أنشأها المعظم عيسى سنة 618 هجرية الموافق 1221 ميلادية، وفيما يلي نص النقش:

السطر الأول : **بسم الله الرحمن الرحيم أنشأ عمل**

السطر الثاني : **هذه البركة المباركة مولانا السلطان**

السطر الثالث : **الملك المعظم شرف الدين عيسى خلد الله**

السطر الرابع : **ملكه شنكيز المعظمي سنة ثماني عشر و ستماية** [1]. (انظر شكل : 4)

وتكمن أهمية هذا النقش في تعزيز صحة المعلومات التاريخية التي تناولت الدور الهام للأسرة الأيوبية في بناء القلعة ومرافقها، وخاصة النشاط العمراني لحاكم دمشق الملك المعظم شرف الدين عيسى، وتوسعت القلعة في عهده كما سبق، وتم تأمينها بحاجتها من مياه الشرب من خلال بناء البركة ذات السعة الكبيرة من المياه.

ويمكن لنا من خلال النقش أن نلاحظ أن المعظم عيسى كان يحمل لقبين وهما (السلطان) و(الملك)، وهذا مؤشر على أن الحكام الأيوبيين في هذه المرحلة كان كل منهم مستقلاً إداريا في مناطق نفوذه، وهذا ما أوجد صراعات داخلية فيما بينهم بين فترة وأخرى. إذ انقسمت الدولة الأيوبية بعد وفاة السلطان صلاح الدين الأيوبي بين أبنائه الثلاثة: الملك الأفضل نور الدين في دمشق، والملك العزيز عثمان في مصر، والملك الظاهر غازي في حلب، فيما تقاسم أمراء البيت الأيوبي الممالك الأخرى، وكان من أبرزهم الملك العادل سيف الدين أخو السلطان صلاح الدين الذي كانت بيده كل من الكرك والشوبك، وكانت حدود مملكة كل منهم تزداد أو تتقلص بين فترة وأخرى وفقا للأحداث المعقدة. و لم تمض سوى ثمانية سنوات في الفترة (1194م . 1201م) من التناحر فيما بينهم حتى تمكن الملك العادل من إعادة توحيد الدولة الأيوبية تحت سلطانه، وكانت دمشق والكرك من نصيب ابنه المعظم عيسى الذي امتدت حدود مملكته من حمص شمالا إلى العريش جنوباً [2].

من ناحية أخرى فإن لقب (ملك) لم يكن مقصوراً في عصر الأيوبيين على رؤساء الدولة، بل كان يُطلق أيضاً على أبنائهم ولو لم يكونوا أولياء عهد، فكان أولاد السلاطين يلقبون "بالملك" بالإضافة إلى نعت خاص عند ولادتهم مثل أولاد صلاح الدين الأيوبي. (الباشا، 1989)[3].

ويُلاحظ في السطر الرابع من نص النقش المكتشف اسم آخر مهم وهو (شنكيز)، والذي اقترن بلقب (المعظمي) نسبة إلى المعظم عيسى، والإشارة إلى تبعيته، ويبدو أنه كان أحد الأمراء التابعين للمعظم عيسى، وأنه أشرف على بناء البركة، قياساً على ورود اسم (أيبك بن عبد الله) وهو الأمير عز الدين أيبك المعظمي على نقش

---

[1] ملحم ، إسماعيل ، المرجع السابق ، ص 66.65

[2] غوانمة ، يوسف ، **امارة الكرك الايوبية** ، دار الفكر ، عمان ، 1982 م ، ص 173. 180 .

[3] الباشا ، حسن ، **الألقاب الإسلامية في التاريخ و الوثائق و الاثار** ، الدار الفنية ، 1989 م ص 500

في البرج الجنوبي من قلعة عجلون، والمؤرخ لسنة 611هجرية/ 1214 ميلادية. حيث جرت العادة في العصرين الأيوبي والمملوكي أن يُنسب الأمراء المتدرجين بالرتب لأسيادهم الكبار[1].

إن الأهمية التي يحملها هذا النقش في أنه يوثق لإحدى الأعمال الجليلة في الإعمار الذي عُنيت به منطقة شرق الأردن من قبل الملك المعظم عيسى، فهو لم يترك جزءاً منها إلا وجه عنايته إليها كما حرص على أمن وسلامة الطرق بين الشام ومصر، فبنى قلعة في الصلت لمنع تحركات العصاة من قطاع الطرق، وكان يتنقل بين أجزاء مملكته من دمشق إلى القدس عن طريق الأغوار، وجعل له مشتى فيها تجنبا لبرد دمشق، وبنى حمامين لخدمة الحجاج في معان، ونظم الطريق الذي يسلكه الحجاج إلى الحجاز، وقام بأعمال ترميم لما تهدم من قلعة الشوبك، واختص الكرك برعايته ونقل إليها الصناع والعمال وجعلها مدينة تكتفي بنفسها ولا تحتاج إلى غيرها، واهتم بزراعة الأشجار وتنظيم الزروع والثمار في القرى المحيطة بالكرك وأجرى إليها العيون وحفر الآبار والصهاريج، وكذلك المناطق المحيطة بقلعة الشوبك التي غدت تضاهي دمشق في خضرتها[2].

من جهة أخرى فإن الإضافات المعمارية الكبرى وبناء البركة ضمن التوسعة التي قام بها الملك المعظم عيسى في قلعة عجلون كانت ضمن سياسته الدفاعية في التصدي للحملات الصليبية وتعزيز الأمن الداخلي وتحصين القلاع، حيث تصدت قواته للحملة الصليبية في الشام ومصر، وكان له الدور الأكبر في إفشالها وإبعاد الخطر عن مدينة القدس[3].

---

[1] لمزيد من الاطلاع يمكن مراجعة كتاب الباشا ، حسن ، **الألقاب الإسلامية** ، مرجع سابق

[2] غوانمة ، يوسف، **امارة الكرك الايوبية** ، مرجع سابق ، ص 181. 187

[3] غوانمة ، يوسف ، المرجع السابق ، ص 193-208

المراجع :

أحمد بن علي القلقشندي. (1919). ***صبح الاعشى**,الجزء الخامس*. القاهرة: المطبعة الاميرية.

اسماعيل ملحم. (2024). ***اضاءات على اكتشافات اثرية حديثة في شمال الاردن***. اربد: دار الكتاب الثقافي.

جمال الدين ابن منظور. (1414ه). ***لسان العرب,المجلد 8(ع,غ)***. بيروت: دار صادر.

حسن الباشا. (1989). ***الالقاب الاسلامية في التاريخ و الوثائق و الاثار***. القاهرة: الدار الفنية.

سبط ابن الجوزي. (1907). ***مرآة الزمان(495 الى 654ه)***. شيكاغو: مطبعة جامعة شيكاغو.

سجادى صادق. (2021). *"استاذ الدار"* . **مركز دائرة المعارف الاسلامية الكبرى**,موقع cgie.org.ir.

شمس الدين محمد بن عبد الله ابن بطوطة. (1407ه). ***رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الامصار و عجائب الاسفار**,مجلد1*. المغرب: اكاديمية المملكة المغربية.

شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل ابو شامة. (1949). ***تراجم رجال القرنين السادس و السابع***. القاهرة: دار الكتب الملكية.

عز الدين ابن شداد. (1962). ***الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام و الجزيرة***. دمشق: المعهد الفرنسي للدراسات العربية.

عماد الدين اسماعيل بن نور الدين ابو الفداء. (1850ه). ***تقويم البلدان***. باريس: دار الطباعة السلطانية.

فولفجانغ مولر-فيز. (1984). ***القلاع أيام الحروب الصليبية** ,ترجمة محمد الجلاد*. دار الفكر.

الخاتمة:

قدم النقشان الأثريان –موضوع دراسة هذا البحث– المكتشفان في قلعة عجلون دلالات هامة موثقة على النشاط العمراني فيها الذي جرى في عهد حاكم دمشق الأيوبي الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن السلطان العادل، حيث انتقلت من حصن صغير له أربعة أبراج إلى قلعة كبيرة محصنة بسبعة أبراج وقاعات مضافة، وزودت هذه القلعة بالمنشآت الخدمية الأساسية كالآبار وبركة المياه لتوازي قوة ومنعة القلاع الصليبية التي كانت منتشرة في فلسطين وساحل بلاد الشام، وجاءت مضامين النقشين موافقة للروايات التاريخية العربية، ومؤكدة لصحتها ولطابعها العربي الإسلامي، فالنقش التأسيسي الأول المثبت على إحدى نوافذ البرج الجنوبي للقلعة ينص صراحة على أن من بنى هذا البرج هو الأمير عز الدين ايبك بن عبد الله التابع للملك المعظم عيسى سنة 611 هجرية وأحد مماليكه، ويدل على مرحلة الإعمار الثانية للقلعة التي شملت بالإضافة للبرج الجنوبي بناء برجين آخرين وقاعتين ومدخلا رئيسيا للقلعة .

أما النقش الثاني المكتشف حديثا داخل القلعة فيدل وبشكل صريح على بناء بركة المياه التابعة للقلعة بأمر الملك المعظم عيسى، وأن متولي البناء كان يدعى شنكيز المعظمي سنة 618 هجرية، وهو ما يقطع الشكوك التي طرحها بعض الباحثين حول زمن هذه البركة وبانيها. ومن الملاحظ أن كلا النقشين حمل لقب (المعظمي) لكل من الأمير عز الدين ايبك، ومتولي عمارة البركة شنكيز المعظمي، بما يؤكد أن أكبر عملية توسع في بناء القلعة تمت في عهد الملك المعظم عيسى واتباعه المنسوبين اليه.

إن وجود هذين النقشين موضوع البحث؛ إضافة إلى النقوش الأخرى المكتشفة في القلعة من الفترة الأيوبية اللاحقة والفترة المملوكية، تقدم جميعها وثائق تاريخية مادية، ينبغي أن تؤخذ بعين الاعتبار في كتابة السردية التاريخية والعمرانية من قبل المؤرخين والآثاريين وتحليلاتهم خلال الحقبتين الأيوبية والمملوكية، كما يوصي البحث بعمل دراسة موسوعية للنقوش التأسيسية في العمائر الأيوبية والمملوكية ذات البعد العسكري والديني ودراسة مضامينها، لتكون وثائق دامغة على الأحداث والحياة الحضارية والعمرانية في جنوب بلاد الشام، وعدم الاكتفاء بالروايات التاريخية فقط.

ملاحق الصور والأشكال

محمد ابو عبيلة. (2007). *"نقش تأسيسي ايوبي من قلعة عجلون" ,**مجلة النقوش و الرسوم الصخرية**,العدد1* . عمان: دائرة الاثار العامة,الاردن.

يوسف غوانمة. (1982). ***التارخ الحضاري لشرقي الاردن في العصر المملوكي***. عمان: دار الفكر للنشر .

G. Schumacher .(1890) .***Northern Ajlun within the Decapolis*** .london: Alexander P.Watt.

شكل (1) منظر عام لقلعة عجلون. عن (museum.visitjordan.com)

شكل (2): منظر عام لمدخل القلعة و على اليمين البرج الشرق (برج الحصن الحصين) وعلى اليسار البرج الجنوبي، كما يؤشر السهم على مكان تواجد النقش التأسيسي للبرج الجنوبي.

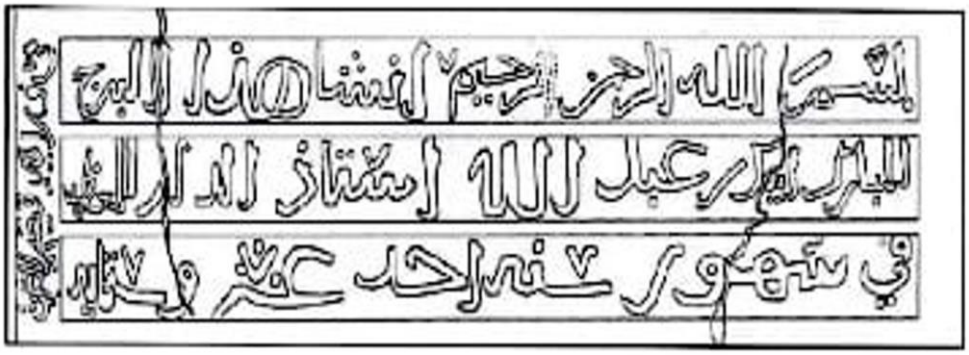

شكل (3): رسم للنقش التأسيسي في البرج الجنوبي في قلعة عجلون. عن (أبو عبيلة 2007،ص 54)

شكل (4): النقش التأسيسي الدال على البركة في موقع اكتشافه في القلعة. عن (ملحم 2024، ص 72)

شكل (5) صورة علوية لسطح قلعة عجلون، ويشير السهم إلى مكان العثور على النقش التأسيسي للبركة. عن (ملحم 2024، ص34)

شكل (6): بركة المياه (خزان الماء الرئيسي) في قلعة عجلون. عن (ملحم 2024، ص 74)

الهوامش: